

شهر رمضان وتوجيه الشباب المسلم



عندما نطالع النصَّ القرآني في مسألة الصيام نجد أن ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة / 183)، إنَّ هدف الصوم هو تعميق التقوى وتجديرها في عقل الإنسان وفي قلبه وحركته في الواقع. فمن لم يحصل على ملكة التقوى وفعليتها في شهر رمضان فإنَّه لم يكن قد حقق هدف هذا الشهر، وينطبق عليه الحديث الشريف "رُبَّ صَائِمٍ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ"، لذلك علينا أن ندخل في شهر رمضان دخولاً واعياً، تماماً كما لو كان للإنسان غاية يريد أن يحصل عليها، ولذلك لابدَّ للإنسان أن يراقب نفسه في كلِّ يوم من أيَّام الصوم ليعرف ما إذا كان قد تقدَّم في التقوى أو أنَّه تفهقر، حتى ينتهي الشهر ليكون في القمة من التقوى. ثمَّ إنَّ هذا الشهر الذي أراده الله سبحانه وتعالى حركة من أجل التقوى قد تضمَّن في مستحباته عدة مفردات عبادية وثقافية، فيستحب للإنسان في هذا الشهر أن يقرأ القرآن ليترك من خلال آياته في التقوى العقلية، وحي يتثقف بالقرآن وتكون الممارسة العملية للصوم عنده ممارسة نابعة من قاعدة ثقافية هي ما يقرأه في القرآن من آيات العقيدة والشريعة والموعظة والمنهج والحركة في الحياة. ولقد أكدَّ الله سبحانه أن شهر رمضان هو شهر القرآن (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة / 185)، فافتحوا على القرآن كما لو كان ينزل عليكم الآن لتستقبلوه بعقولكم وألسنتكم وحياتكم. ثمَّ أرادنا الله في ليالي ونهارات هذا الشهر أن ندعوه في ابتهالاتنا (وَقَالَ رَبِّ لَبَّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر / 60)، واعتبر الذين يتركون الدعاء مستكبرين (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر / 60)، وهكذا يقول: (فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ أُولَٰئِكَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ) (البقرة / 186)، وقد ترك لنا النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) تراثاً من الأدعية المتنوعة المتحركة التي ندعو الله بها في النهار وفي المساء وفي السحر وفي كلِّ يوم، مما يمثل ثروة روحية ثقافية تعمق الروحانية في نفس الإنسان وتقرب الإنسان إلى الله لأنَّها توصله إليه. إنَّ شهر رمضان هو موسم من مواسم الروح والتقوى والاستقامة، وهو كما وصِّفَ في الخطبة التي استقبل بها النبي شهر رمضان في آخر جمعة من شعبان "أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرٌ بِالْبَرَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيُّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، قَدْ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَاةٍ وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَتِهِ، أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدَعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِنِدَائَاتٍ صَادِقَةٍ وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ" اخلصوا فيه نياتكم وطهروا قلوبكم قبل أن تدخلوه، "واسألوا الله أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنَّ الشقي من دُرِّمَ غفران الله في هذا الشهر العظيم".

